

المواطنية تنشطر بإنشطار اللغة – اللغة العربية في مالطا انموذجاً

La citoyenneté est divisée par la division de la langue: La langue arabe à Malte – un modèle.

Citizenship is divided by the splitting of language: –The Arabic language in Malta as a model –

ورقة بحثية

ضمن المؤتمر الدولي المدمج :

" تحديات التربية على المواطنة في العصر الرقمي في ظل الأزمات والعلمة "

الذي نظم من قبل الجمعية اللبنانية للتجديد التربوي والثقافي الخيرية برئاسة السيدة رima يونس بالشراكة مع كلية التربية في الجامعة اللبنانية والجامعة الإسلامية في لبنان والمعهد اللبناني لإعداد المربيين في جامعة القديس يوسف وبالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية والسفارة الفرنسية (قسم التعاون الثقافي) والمعهد الفرنسي للتربية التقويمية في فرنسا والمجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع وجامعة استانبول ايدين في تركيا – قسم علم الاجتماع وجمعية ديان ومركز تنمية الموارد البشرية للدراسات والأبحاث في برلين والمنتدى العالمي للأديان والإنسانية وجمعية النور للتربية والتعليم وجمعية بلادي والمنتدى العربي لدراسات المرأة والتدريب والأكاديمية المصرية للتربية الخاصة

لبنان – الحدث – مدينة رفيق الحريري الجامعية

إعداد: شاهينة دندش

طالبة ماجستير في الجامعة اللبنانية – العمادة، وطالبة دكتوراه في الجامعة الإسلامية في لبنان IUL.

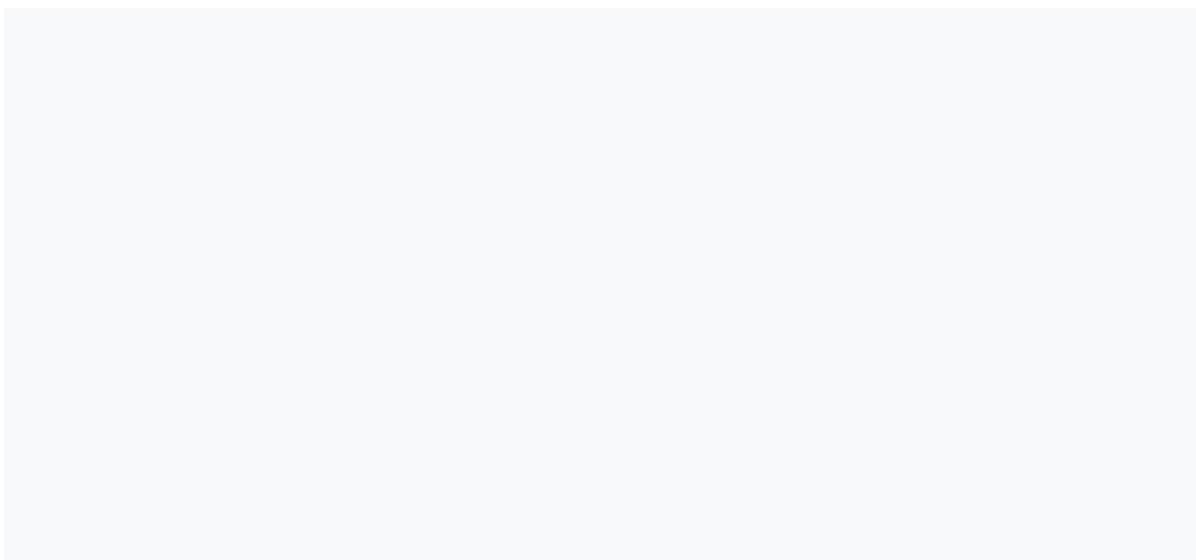
الملخص

يثبت البحث فضل اللغة العربية وعولمتها من خلال "الإنشطار"، أو الهوية اللغوية، التي تربط العرب بالغرب في أوروبا. وتحديداً مالطا كالأندلس. على الرغم مما تعرض له العرب في الغرب من طمس لحضارتهم المشرقة وأصولها السامية.

المقصود بـ "الإنشطار" صياغة الألفاظ (الصرف)، وإدخالها في التركيب (النحو)، والمعنى الناتج من حذفها. بتعبير آخر "الجهد العضلي" أو التعبير بجهد أقل. الأمر الذي دفعنا إلى اعتبار "الإنشطار" أسلوبياً فصيحاً. لأن العرب هكذا تكلّمت، وأبلغت في بيئه ومناخ مختلفين.

الكلمات المفاتيح

الإنشطار _ الاشتقاء اللفظي _ اللهجة المالطية _ الانشطار اللفظي _ الجهد العضلي.



Résumé:

La recherche prouve la vertu de la langue arabe et sa mondialisation à travers la « fission », ou identité linguistique, qui relie les Arabes à l'Occident en Europe. Plus précisément, Malte et l'Andalousie. Malgré ce à quoi les Arabes ont été exposés en Occident depuis l'effacement de leur civilisation orientale et de ses hautes origines.

Ce que l'on entend par « fission », c'est la formulation des mots (morphologie), leur insertion dans la structure (grammaire), et le sens résultant de leur suppression. En d'autres termes, « effort musculaire » ou moins d'effort. Ce qui nous a incité à considérer la « fission » comme une méthode éloquente. Parce que les Arabes parlaient et communiquaient ainsi dans un environnement et un climat différents.

Mots clés

Fission _ Dérivation verbale _ Dialecte maltais _ Fission verbale _ Effort musculaire.

Abstract:

The research proves the virtue of the Arabic language and its globalization through the "fission", or linguistic identity, that links the Arabs with the West in Europe. Specifically, Malta and Andalusia. In spite of what the Arabs were exposed to in the West from the obliteration of their Eastern civilization and its lofty origins.

What is meant by "fission" is the formulation of words (morphology), their inclusion in the structure (grammar), and the meaning resulting from their deletion. In other words, "muscular effort" or less effort. Which led us to consider "fission" as an eloquent method. Because the Arabs thus spoke and communicated in a different environment and climate.

Keywords

Fission _ Verbal derivation _ Maltese dialect _ Verbal Fission _ Muscular effort.

أولاً: أسئلة البحث

يطرح هذا البحث أسئلة عدّة، فالإشكالية تكمن في السبل التي تُقْوِم نظرة المتعصبين ضد اللغة العربية في جزيرة مالطا، وإنكار فضلها وقدرتها الانفتاحية. بمعنى آخر، عولمة اللغة العربية المتطرفة بتطور الزمن من خلال مصطلح "تجسيد الفظ". لابل أكثر من ذلك، تطرح الإشكالية مشكلة والتعمّد في إزالة أثر اللغة العربية جراء الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في فكرة الإنشار أي تلاقي اللغات السامية - اللاتينية (صوتياً ولفظياً)، وهذا ما يسمى بالإنشطار اللفظي الذي يكسب معناه من السياق والممعجم والمحذف، وهذا الأخير يُكسب السياق المعنى المجازي أو الإنشار المعنوي. ففي السياق وفي المعاجم تتجلى الأصول العربية في الكلمات التي تغيّر جزء منها بشكل مستساغ مع ما يبغيه المالطيون لتغيير بنية الكلمات وجعلها مغایرة لأصولها العربية.

الإنشطار هو الألفاظ التي تُشترط إلى قسمين: سامية ولاتينية، هي تلك التي قصدّها نقولا زиادة في كتابه "لتحات في تاريخ العرب" بقوله: "الصلة الباقيّة إلى الآن بين الماطليين والعرب هي صلة اللغة، وليس التشابه في اللغتين تشابهًا لفظيًّا ولكنَّه تشابه أصلٍ"⁽¹⁾. أي أن الأصول في اللغة الماطلية من حيث هي لغة هي أصول عربية، وما دخل عليها من اللغات الأخرى هي الألفاظ دون التركيب، أو السياق المؤدي للمعنى الذي يفهمه العرب بسهولة، كما جاء في قول الشاعر جوفاني فرانشيسكو بوناميكو للقديس كوطونير بقصيدته المسماة بـ"ما يوجا": "اللي م كانش من يونسها | اللي م كانش من يحرسها"، نلاحظ الزيادة التي تلحق النفي (الشين) في لفظة (ما كان + ش) هي قريبة جدًا من الإنشار اللفظي الجزئي في الأصول (السامية+اللاتينية)، إذ دخل ألفاظًا من مصادر لاتينية جعلت النص يتسم بشيء من الغموض شوهت النّص.

والإنشطار هو الصرف حيث يفسر الباحث أحمد طلعت سليمان ذلك بالقول: "نظامها الصّرفيّ (أي اللغة الماطلية) عربيّ، وأية ألفاظ من لغات أجنبية تدخل عليها لا بد أن تخضعها لقواعد الصرف العربية.

⁽¹⁾ نقولا زيادة، لتحات من تاريخ العرب، ص87.

في حين تبقى نسبة منها في لغتها الأصلية، فالمفردات الإنجليزية يبقى معظمها كما هو، بينما تتصرف المفردات الإيطالية تصريفات عربية⁽²⁾، فأدخلوا نسبة مضاافة إلى الكلمات التي هي في الأصل عربية.

وعليه تشكّل اللغة المالطية مثلاً عن عولمة اللغة العربية التي أسسّت للعلاقة مع الآخر، أدى إلى نوع من تلاعح الأفكار، أمّا التعويل على نصوص مالطية ثبت ذلك استناداً إلى كتاب ديفيد كوهن David Cohen، وهذا يبدو التوجه أمراً أساسياً في التمسك بالهوية اللغوية العربية وعليه يكون الأدب المالطي جزء من الأدب الأندلسي.

ومن مظاهر أهمية البحث أنه يهدف إلى تبيان التعديلات التي طالت الألفاظ لجهة حذف أجزاء من الكلمات ودمج حروف تلاءم مع الأصول اللاتينية التي اعتاد عليها المالطيون في التواصل اللغوي، ويعود ذلك في قسم كبير منه إلى أثر البيئة المالطية في التعبير اللغوي وبالرغم من ذلك كله يبقى الأساس في المفردات والتعابير عربياً أصيلاً.

ثالثاً: المنهج المتبّع

الاعتماد على الكتب التاريخية كانت بمنزلة وثائق تاريخية تتبع اللغة المالطية المنبثقة من اللغة السامية، ولكن المنهج التاريخي بأدواته يساعد على جمع هذه العينات بشكل غير مباشر. أمّا ما يتضمنه البحث من ألفاظ وجمل (نص "مايوجا")⁽³⁾، فهي التي خضعت للمنهج الوصفي والتحليلي في التثبت من العينات بشكل مباشر لاستكمال إجراءات المنهج الوصفي القائم على أعمال التفكير والتقويم للمشكلة والتركيب (الاستنتاج). وعلى ضوء هذه التراكيب للمفاهيم والنتائج يتم تعميم فرضية أن اللغة المالطية هي لغة عربية وانموذج لافتتاحها إلى أقصى حدود مع اللغات الأخرى، وأن السياسة الاقتصادية والعسكرية المتعصبة كانت سبباً في طمسها.

رابعاً: الفرضيات

(2) أحمد طلعت سليمان، معجم المفردات العربية في اللغة المالطية، (المقدمة).

Cohen, D., & Vanhove, M. (1991). La cantilène maltaise du XVème siècle : Remarques linguistiques., p18⁽³⁾

الانشطار هو استعمال اللغة العربية وعولمتها في مالطا بما يتواافق مع العصر في الاقتصاد بالتعبير، أو الجهد الأقل ومن خلاله يمكن دحض. وهكذا دحض الانشطار نظرة المتعصبين ضدّ اللغة العربية وقدرتها على الانفتاح.

إثبات أنه الوسيلة التي تعكس سمات العرب ونفسيتهم إثر تغيير البيئة بحثاً عن الأرض الموعودة المشكلة للهوية واللغة والثقافة أي المواطنة. وهذا ما حاول سكان أرض مالطا الأصلين على تعمّد طمس هوية العرب في الغرب، وإثارة زعزعة إستقرار العرب أو شعورهم بالمواطنة التي تشكّل اللغة بعدّاً أساسياً لعولمتها.

البحث

ربط المفكر شكيب أرسلان مالطا بالشرق. على الرغم من مرور زمن من الغزوات التي دارت على أرضها لم يُسمّع بها، وذلك لتسليط الضوء على مفهوم المواطنية التي تختصر بأثر انتماء الشعوب السامية في هذه الأرض ليستقر فيها بشكل ثابت ويحمل جنسيتها. يضاف إلى ذلك اهمال معرفة الأصول العربية التي عبّثت بها الأطراف المتطرفة لطمس انطلاقتها السامية، ولعدم قدرة وقوف اللغة اللاتينية في وجه اللغة العربية. ما أدى إلى "التباس المؤرخين في التسمية ما بين مالطة ومالقة من الناحية النطقية" (4)، فنسبوا الأخبار إلى مالقة - غرناطة (الأندلس) آخر معقل المسلمين.

اتخذت مالطا أسماء مختلفة باختلاف المقيمين فيها، والافتراض المبغى التماسه أن معرفة اللغة لا تتحضر في عصر محدد، فاللغة كالحلقة الحلوانية تجمع اللهجات وتنسبها إلى قواعدها، ومن هنا فإن الاشتقاء اللغطي يخدم هوية اللغة. فاللهجة المالطية هي نتيجة ما آلت إليه من تطور اللغة السامية الحلوانية.

لم يكن للمالطيين حروف يكتبون بها على حد قول شكيب أرسلان، فاعتمدوا الأحرف اللاتينية فقط كقالب للتعبير عن مضمونين عربية بألفاظها. واستناداً إلى ما قاله ديودورس الصقلي عن اللغة المالطية بأنها لم تتأثر بثقافة الرومان، فقد استمر السكان يتكلمون اللهجة الفينيقية، أصل العربية التي توطّدت

(4) أحمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص.9

بتنصر أهلها على يد لوقا كاتب الإنجيل، فكانت من أهم العوامل المؤدية إلى انتساب مالطا إلى الحضارة المشرقة.

ومن العوامل التي جعلت اللغة تطاوع واقع الحال - الوضع الاجتماعي، إذ كان من الممكن أن يكون أهلها جنساً نقىًّا موحداً في أصله إلا أن موقع مالطا - ملتقى طرق لقوافل السفن بين الشرق والغرب والشمال والجنوب جعلها تتأثر بلغات جميع الأقاليم المسيطرة.

قدر التقرير الإحصائي الذي بعثه الأب جلبرت سنة 638 هـ 1240 م إلى الامبراطور فريديريك الثاني أن العائلات المسيحية في مالطا بلغت 47 عائلة والمسلمة 682 عائلة والمسيحية 25 عائلة". وذلك بعد دخول العرب الجزيرة. فنسبة العنصر الفينيقي كانت كبيرة مقارنة ببقية العناصر الأخرى لكون الفينيقيين أنشأوا المستوطنات في مالطا في القرنين الثامن والسابع (ق.م). والتقرير يفيد أن معظم العائلات المسلمة هي من الجنود والتجار الذين راقت لهم الحياة فيها، وهذا ما يذهب بنا إلى الاعتقاد أن لغة هؤلاء انتشرت بسرعة لعدم وجود الضوابط لها بين الفئات الاجتماعية العاملة، والمقصود هو الضوابط التحوية التدوينية في تجسيد الحرف خطياً، أو بما يسمى الإنشار اللفظي الذي يشكل العامل الأساسي في استمرار اللغة العربية المتنقلة من القيود الحاصلة عندما نسبت اللغة المالطية إلى الفئة اللغوية الهندوأوروبية حيث جمدت الصوائف والصومات لنقل انتسابها إلى السامية المفرطة في التغيير.

وبالتحالف البربرى العربى فى فتح مالطا أرجنا اللغة المالطية فى إطار الانشطار اللفظي الآتى:

السامية + اللاتينية = المالطية

الفينيقية والعربية والبربرية + الفرنسية والإيطالية والإنكليزية

و" للتدليل على انتشار هذه اللغة في مالطا التي كانت تعتبر جزءاً من صقلية إدارياً أن النرمديين الذين إزدهرت لديهم الثقافة النصرانية والإسلامية على حد قول فيليب حتى والسبب عدم توفر الثقافة لدى الحكام مثل روجر الذي اعتمد على المسلمين في حشد أكتيرية المشاة في جيشه وقرب الفلسفه والأطباء الشرقيين... ومنهم ممارسة طقوسهم الدينية واستعان في إدارة شؤون الدولة بالموظفين المسلمين، وكذلك ظلت التجارة بأيديهم وتقدمت زراعة الأرضي بإشرافهم فاستغلوا الأرض كإخوانهم في الأنجلترا. هذا وأن أسطول روجر الذي رفع صقلية إلى سلم الزعامة البحرية في البحر المتوسط قد بناه وتولى قيادته أمراء

أعظمهم جرجي الانطاكى وهو يوناني خدم في أول عهده أحد أمراء المسلمين في المهدية بإفريقية⁽⁵⁾. وكان أعظم منصب في الدولة يسمى باسم مشتق من العربية أميراتس أو أميراتوم (أي أمير الأمراء) :

أمير + اتس = أميراتس

أمير + أتوم = أميراتوم

فإنّ اللغتين اليونانية والفينيقية اجتمعا بفضل اللهجة المحلية لتكون اللهجة المالطية، وقد وصفها ديدورس الصقلي بأنّها لغة بربرة بمعنى أنّهم لم يتكلموا اللغة اللاتينية أو اليونانية وإنما "تشبّثوا بالثقافة الفينيقية خلال حكم الرومان ولكن لا يعني ذلك أنّهم أميل إلى الفينيقية"⁽⁶⁾ فالتصريف اللفظي قائم على الدمج بين الفينيقية واللاتينية في سياق لا يفهمه الروماني، والتتبّه إلى عدم ردّ اللغة إلى أصول سامية أو هندوأوروبية قائم على الإنشطار اللفظي الفينيقي اللاتيني حيث الدراسة الألسنية للفظة في تطابخ مستمر.

وفي هذا الصدد، تشبيه اللهجة المالطية بلهجات شمال إفريقيا محتم. لا لأنّها عربية تشبه الألفاظ فيها لهجة المغاربة على حد قول شبيب إسلام، بل أبعد من ذلك، أبعد من النتيجة، إنه السبب الذي يفسر سرعة انتشار اللغة العربية في تلك الجزيرة التي لم تجد أي خلاف مع اللغة الفينيقية. يستفاد من ذلك أن التعويل الأساس يكون على اللغة والتطور الحاصل فيها، وعلى نظرية السياق اللغوي الذي يحتم فهم العرب للغة المالطية دون الإطلاع المسبق أو اتقانها وبالتالي فإنّ السياق كفيل في التعرّف إلى هوية اللغة المالطية العربية.

أما الاعتقاد أن الموسيقى هي سبب تقسيم اللهجة المالطية وانتشارها كأول انتظام لغة (تدوينها) فليس من الإنصاف نسبها إلى الموسيقى التونسية فهم "يزعمون أنّهم نقلوا هذا الفن عن أهل الأندلس، وأهل تونس أكثر ترسلاً منهم"⁽⁷⁾ لأنّ اللغة السامية وجدت دائمًا المنفس الصائني والصامتى في اللفظ. فلو وجد

⁽⁵⁾ فيليب حتّى، تاريخ العرب، ص693.

⁽⁶⁾ أحمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص12.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص60.

الفراهيدي في مالطا لكان قد أوجد ما يسمى النثر الشعري، وهذه الظاهرة تحملها اللغة المالطية في طياتها المعبرة

عن الفكر كما قال ابن جني "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽⁸⁾، فاللغة تتدرج من الرسم للأصوات والصرف والنحو والدلالة، فالدلالة هي التي تتماشى مع كل طور من أطوار اللغة، و"الرسم هو أول أطوار اللغة في حفظ النطق".

لذا، يعتبر الحرف المعتمد في العملية التواصلية هو هوية اللغة القومية وتيسيرها لمن أراد الاطلاع عليها في المستقبل" فاللغة العربية تخلق نوعاً من الشراكة في الفكر والإحساس بين المتكلمين مما يجعلها أحد مقومات الوطن والقومية ومداعاة للوحدة الوطنية"⁽⁹⁾، و"اللغة ظاهرة اجتماعية تتعكس في الأدب فترس من خلال التغيرات في الجمل المحمّلة بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها ودرجة ثقافتها، فتظهر من خلال إدخال المفردات بطريقة الوضع والاستيقاظ للتعبير عن الأفكار، وما ألفه الناس في حياتهم الفكرية والسياسية والاقتصادية"⁽¹⁰⁾. وبال مقابل، نجد المتعصبين _لتغيير الهوية أمثال "آجيوس سلانيس" _ يعمدون إلى تجميد الصوائب والصومات بالحروف اللاتينية التي تتضمن الصفات الفيزيائية للنطق. فاللغة المالطية وما آلت إليه في العصر الحديث هي نتيجة العمل الفردي باعتماد الحرف اللاتيني الذي يثبت الغاية من التغيير المعتمد والتعصب لطمس الإرث التاريخي والحضاري لها.

الانشطار اللغطي المؤدي إلى الإنশطار المعنوي هو استعمال فرضه العصر والتحضر، يظهر قدرة اللغة العربية على احتمال تراكيبها أصعب الألفاظ، وأن الانشطار ضروري في مجتمع تس肯ه شعوب متعددة. ويدخل فيه الحذف في الجملة، يقول ابن جني في *الخصائص* "قد حذفت العرب الجملة والمفردة والحركة والحرف، وليس في ذلك إلا عن دليل عليه"⁽¹¹⁾. والحذف أحد أهم ركائز اللغة المالطية التي بدورها انبعثت عن اللغة السامية، فهو دليل على المعنى الموجز في ذهن المتنقي والمتكلّم معًا، والتعبير

⁽⁸⁾ ابن جني، *الخصائص*، ج 1، ص 76.

⁽⁹⁾ أميل بديع يعقوب، *فقه اللغة العربية وخصائصها*، ص 161.

⁽¹⁰⁾ عبد الواحد وافي، *اللغة والمجتمع*، ص 31.

⁽¹¹⁾ ابن جني، *المصدر السابق*، ج 4.

عنها بتركيب جملة تمتلك الشروط النحوية التي تتوافق مع ما سماه المحدثون "بالاقتصاد في الجهد العضلي أو التعبير بجهد أقل في عملية النطق" ⁽¹²⁾.

الخلاصة

نعد الانشطار اسلوبًا فصيحاً، بمعنى أن العرب هكذا تكلّمت. ومن هذا المنطلق، يجب أن ينظر إلى اللغة بوصفها وسيلة تتكامل من خلالها اللهجات لاخضاعها إلى القوانين، حيث تمكّن المتكلمين على التكيف مع كلّ تغيير في كل عصر وفي كلّ موطن.

"الانشطار يتواافق مع نظرية علم الاجتماع الحديث في أثر البيئة والمناخ على نفسية المجتمع، فالبيئة" تفرض على الأفراد عقليات، وعادات، وثقافات خاصة تبدو وكأنّها انعكاسات البيئة على الضمائر الفردية". وفي هذا الصدد، يقول الجاحظ "إذا فسد الهواء في ناحية من النواحي فسد الماء، وفسدت التربة فعل ذلك في طباع السكان" ⁽¹³⁾.

التلاحم الفينيقي اللاتيني على أرض مالطا يوازيه تلاحم فينيقي يوناني في الأنجلوس، ما يعزز ارتباط مالطا بالأندلس، وهو ارتباط إسبانية والمالطية بالأصول العربية، وامتداد الهوية العربية إلى بلاد الغرب. فإن العلاقة بين الغرب والشرق هي مشكلة خاصة بالعرب المskون بالآخر، وهذه العلاقة جزء من هويته ولغته وثقافته وبالتالي فإنّ هجرة هؤلاء المحاربين والتجار... كانت الغاية منه البحث عن الأرض الموعودة والشعور بالمواطنة فيها حيث سيستقر.

وتتجلى المواطنـة في الأثر الذي تركه الفينيقيون والعرب في بنية اللغة المالطية التي غدت في جذورها عربية أضيفت إليها حروف تعبّر عن لهجة المالطيين التي اعتادوا عليها، كما تبدو في علاقاتهم ومعاملاتهم المتأثرة بما هو من أصول عربية.

(12) عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، ص205.

(13) جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، ص138 .

لائحة بالمراجع العربية والأجنبية

أولاً: المراجع العربية:

ابن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية ، ط 2، 1956 م.

جبر، جميل، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، 2004م.

حثّي ، فيليب ، وادورد جرجي وجبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة

والتوزيع ، ط 1، بيروت، 2002 م.

زيادة ، نقولا ، لمحات من تاريخ العرب، دار الكتاب اللبناني -دار الكتاب المصري ، بيروت، 1961م.

سليمان ، احمد طلعت ، معجم المفردات العربية في اللغة المالطية ، مكتبة لبنان، 1992م.

الشدياق ، احمد فارس ، الواسطة في معرفة احوال مالطة ، دار المدى للثقافة والنشر، 2012 م.

مطر، عبد العزيز، لحن العامة من ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م.

وافي، عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، 1971م.

يعقوب ، اميل بديع ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين، 1982م.

ثانياً: الكتب الأجنبية

Cohen, D., & Vanhove, M. (1991). La cantilène maltaise du XVème siècle : Remarques linguistiques. France: Comptes rendus du Groupe Linguistique d'Etudes Chamito-Sémitiques

